

البحث الخامس

الشجرة الملعونة في القرآن

ما قاله المفسرون فيها وبيان ضعفه

ما أفهمه فيها خلافا لهم وأدلتني من القرآن الكريم على ذلك

قال تعالى ف سورة الإسراء ٦٠: (وإذ قلنا إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا).

قال المفسرون في معنى (أحاط بالناس) أن قدرته محيطه بهم، وان المراد من الناس خصوص أهل مكة ومعنى أحاط أي فتح بلادهم مكة للمسلمين.

أقول أن الأقرب والأوفق بمعنى هذه الآية أن يكون معنى (أحاط بالناس) أي أحاط علما وخبرة بطبائعهم وأخلاقهم وغرائزهم، وبنزعاتهم وميولهم ورغباتهم أي حيث أنهم مختلفون في ذلك فلا بد وأن تختلف عقاندهم وأعمالهم فلا يحزنك ما ترى منهم وحينئذ فليس ذلك مخصوص بأهل مكة.

وقد اختلف المفسرون فيما هو المراد من هذه الرؤيا في قوله (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) على أربعة أقوال.

الأول: قال بعضهم المراد فيها ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في المنام من مصارع كفار قريش في موقعة بدر فلما أخبر بمصارعهم حصلت فتنة وسخرية واستهزاء برؤياه ولكن الله حقق ذلك.

الثاني: أن المراد بها رؤياه التي رآها بان المسلمين يدخلون مكة أمنين فأخبر بذلك أصحابه فلما منع عن البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم ولكن الله حقق هذه الرؤيا في السنة التي بعدها.

الثالث: أن المراد بها رؤياه في المنام أن بني أمية ينزون على منبره نزو القردة أي يتداولون عليه فساءه ذلك ولما شاع الخبر بين الصحابة وبين بني أمية حصلت فتنة وقيل وقال.

الرابع: وهو قول أكثر المفسرين هو ما أراه الله لنبيه ليلة الإسراء والمعراج من العجائب فلما أخبر الناس بها صدقه الصحابة وكذبه كفار قريش فحصلت فتنة بذلك. وقد اختلف المفسرون أيضا هل هذه الرؤيا منامية أم حقيقية بصرية كما تقدم لك توضيحه في غير هذا الموضوع.

وأما لفظ الشجرة الملعونة في القرآن فقد قال بعض المفسرين أنه معطوف على لفظ الرؤيا على وجه التقديم والتأخير وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس.

وقال البعض الآخر أن لفظ الشجرة منصوب بفعل محذوف دل عليه الفعل المذكور أي والشجرة الملعونة في القرآن قد جعلناها أيضا فتنة كذلك.

ثم اختلفوا فيما هو المراد من معنى الشجرة على ثلاثة أقوال:

الأول: وهو قول أكثر المفسرين أنها شجرة الزقوم المذكورة في القرآن في قوله (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم)، ومعنى كونها ملعونة أي مكروهة وضارة أو مبعدة عن صفات الخير لأن اللعن في اللغة هو الطرد والإبعاد ومعنى كونها فتنة أنها بالنظر لكونها ستكون ثابتة في نار جهنم لتكون طعاماً لأهلها فالناس تفتن من ذلك وتقول أن النار تحرق الشجر فلا يمكن أن يثبت فيها مع أن الله قادر على كل شيء.

القول الثاني: أن المراد بالشجرة الملعونة في القرآن اليهود لأن الله تعالى لعنهم في القرآن في عدة آيات كقوله (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم)، وقوله: (كما لعنا أصحاب السبت)، وقوله: (فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم)، وقوله: (بل لعنهم الله بكفرهم) واليهود هم فتنة للناس وسبب لإيجاد الشرور والمفاسد بينهم.

والقول الثالث: أن المراد بالشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أن أشخاصاً مثل القردة ينزون على منبره أي يصعدون عليه واحداً بعد واحد نزو القردة على الأشجار فلما استيقظ أزعجته الرؤيا لأن رؤيا القردة في المنام تؤول بالمصائب والدواهي والفتن والمحن وقد صار الأمر كما رأى النبي (ص) فان بني أمية حين تولوا الخلافة المأولة بالمنبر قد أصبحوا مصائب منصبة وقردة منكبة على آل بيت الرسول وبواسطتهم حصلت الحروب والفتن في الإسلام فكانوا فتنة للناس ولذلك فان النبي (ص) حينما أوحى إليه بتأويل هذه الرؤيا بهذا الأمر استولت عليه الأحزان وما رئي ضاحكاً مستبشراً إلى أن مات كما روى ذلك في بعض الأحاديث. هذا هو ما قاله المفسرون في تفسير هذه الآيات مع بعض زيادة وتحسين اقتضاها توضيح هذه القوال.

أقول انك لو تأملت في تفاسيرهم هذه وتطبيقها على هذه الآيات لرأيت فيها تكلفاً ظاهراً خصوصاً وان بني أمية لم يرد ولم يذكر لعنهم في القرآن أبداً. وعليه فأنى أفهم معنى الشجرة الملعونة في القرآن وفي معنى الرؤيا التي أراها الله لنبيه عليه الصلاة والسلام فهما آخر غير ما فهمه المفسرون فيهما.

ما أفهمه في المراد من الشجرة الملعونة في القرآن

وأدلتى على ما أقول

أما الشجرة الملعونة في القرآن فأنى أفهم فيها أنها هي الشجرة التي نهى الله آدم وحواء عن الاقتراب منها في قوله تعالى في سورة البقرة وغيرها (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) وهي الشجرة الابليسية الشيطانية الشهوانية المضرة لكل من اقترب أو أكل منها كما تقدم.

والتعبير عن إبليس في آية البقرة وغيرها بلفظ (الشجرة) وفي هذه الآية بلفظ (الشجرة الملعونة) إنما هو باعتبار ذريته وما تناسل منه فهو كشجرة خبيثة ملعونة تضر دائما بالشجرة الإنسانية الواحدة. ومثل هذا التعبير مستعمل كثيراً في القرآن الكريم حيث عبر في مواضع متعددة عن مصدر الخير ومنبته بالشجرة الطيبة أو المباركة وعن مصدر الشر ومنبته بالشجرة الخبيثة أو الملعونة فمن ذلك قوله تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) وقوله تعالى (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم)

فها هو القرآن قد جعل الكلمة الطيبة شجرة طيبة، والكلمة الخبيثة شجرة خبيثة وجعل مظهر نوره تعالى ومطلع نور الإسلام ومصدر هداية جميع الأنام محمداً عليه الصلاة والسلام شجرة مباركة باعتبار ما تفرع منه من أغصان الهداية وأرباب العلوم والدراسة وباعتبار ما اقتطف منه من أزهار المحاسن والأخلاق والمكارم، وما جنى منه من أثمار الحكم والمعارف والفضائل، ولذلك سمي شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية أي هي عامة لجميع الأمم في كل أنحاء الكرة الأرضية وليست

فإن هذه الآيات بمثابة تفصيل وتوضيح للآيات التي قبلها وهي قوله (وإذ قلنا لك أن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة، في القرآن ونخوفهم فيما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا) فإن جميع هذه الآيات على تفسيرنا تكون في موضوع واحد وهو موضوع آدم وإبليس وعلى معنى واحد أيضا ولكن على تفسير المفسرين فإنك ترى أن أية منها في الشرق وأخرى في الغرب ولذلك فإنهم تحيروا كثيرا في ربط هذه الآيات بالآيات التي قبلها وتمحلوا لذلك تمحلا كثيرا بما لا ينطبق على معاني هذه الآيات جميعا.